خطب شهر أكتوبر

سماحة الإسلام

حق الطريق

حق اليتيم

الحياء

سماحة الإسلام

الحمد لله؛ الحمد لله ذى الملك والملكوت، ذى العزة والجبروت، سبحانه وتعالى الواحد الأحد، الأول قبل كل شئ، الآخر بعد كل شئ، لا شبيه له فى أى شيئ، واشهد إن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له فى كل شيئ، واشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وشفيعنا، وقرة أعيننا وملاذنا، سيدنا محمد عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، اعظم النبيين دعوة، وأفضلهم شفاعة، وارفعهم درجة، وأقربهم منزلة، اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد، الذى تنحل به العقد، وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج، وتنال به الرغائب، وحسن الخواتم، ويستسقى الغمام بوجهه الكريم، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الهداة المهديين، ومن تمسك بهديهم إلى يوم الدين.

أما بعد، فيا أحباب رسول الله ﷺ

إن الإسلام برىء من العنف والتطرف، وأنه دين التيسير والتلطيف، وأنه دين جاء ليبقى، قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ الفتح ٤٨: ٢٨، فإنه دينٌ عالمى، فالمعبود بحق رب العالمين، ورسوله رحمة للعالمين، قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء ٢١: ١٠٧. وقرآنه رحمة للعالمين، قال تعالى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ يوسف ١٣: ١٠٤. وكعبته هدى للعالمين، قال تعالى ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ آل عمران ٣: ٩٦.

جعلت الشريعة الاسلامية غير المسلمين شركاء مع المسلمين فى الوطن منذ كانت للاسلام دولة: دولته الأولى فى المدينة المنورة ودولته التى توالت أيامها بعد انتقال النبى ﷺ الى الرفيق الاعلى وحتى يوم الناس هذا ومن سنة الله تعالى فى الاجتماع البشرى أن يتجاور فيه جماعات من الناس مختلفين فى الألسنة والالوان، وهم جميعا اخوة لأب واحد وأم واحدة، وان تباعد بمعانى هذه الأخوة الانسانية طول الأمد بين الأصول والفروع.

ولقد قرر القرآن الكريم هذة الحقيقة فى قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ الحجرات ٤٩: ١٣.

لما كان يوم فتح مكة، أمر النبى ﷺ بلالا أن يعلو على ظهر الكعبة، ويؤذن فى الناس – ومن المعروف ان الرسول ﷺ كثيرا ما اناب عنه فى حكم المدينة فى اثناء خروجه فى الغزوات بلالا وكان فى الاصل من موالى أمية – فصعد بلال على ظهر الكعبة وأذن فساء ذلك بعض سادة قريش، فتكلموا وكان ممن تكلم عتاب بن أسيد، قال: الحمد لله الذى قبض ابى حتى لا يرى هذا اليوم. وقال الحارث بن هشام: أما وجد غير هذا الغراب الاسود مؤذنا؟ وقال سهيل ابن عمرو: ان يرد الله شيئا يغيره، وقال أبو سفيان: انى لا أقول شيئا أخاف أن يخبر به رب السماء، فأتى جبريل النبى ﷺ وأخبره بما قالوا فدعاهم وسألهم عما قالوا، فأقروا فأنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى..﴾ وزجرهم الرسول عن التفاخر بالانساب، والتكاثر بالاموال والازدراء بالفقراء.

وفيها يؤكد للناس أنهم جميعا عند الله سواء، لافرق بين أبيضهم وأحمرهم وأسودهم فكلهم من أب وأم واحدة، ثم تناسلوا وتكاثروا، فصاروا على الاجيال امما كبيرة، والامم الكبيرة تنقسم الى فروع صغيرة ليعرف بعض الناس بعضا ويأنس بعضهم الى بعض ولا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى، فلا تفاخر بالاحساب والأنساب وكثرة الاموال ويوم القيامة يقول الله تعالى [أنى جعلت نسبا وجعلتم نسبا فجعلت أكرمكم أتقاكم وابيتم الا أن تقولوا: فلان ابن فلان، وأنا اليوم أرفع نسبى وأضع أنسابكم..] وهذا تعقيب عام على هذه الاحكام، وتلك الآداب التى كانت خطابا للذين آمنوا، ليرتلوها ويأخذوا أنفسهم بها، وليس هذا فحسب، بل عليهم أن يراعوا هذه الاحكام وتلك الاداب، مع الناس جميعا من كل أمة ومن كل دين.

انها أخلاق إنسانية، يجب أن تكون طبعا وجبلة فى المؤمن يعيش بها فى الحياة كلها، ومع الناس جميعا، فلا تكون ثوبا يلبسه مع المؤمنين، حتى اذا كان مع غير المؤمنين نزعه، فإنه بهذا إنما ينزع كمالا خلعه الله عليه ويتعرى من جلال كساه الله إياه.

فالإختلاف الواقع بين الناس، وتمايزهم شعوبا وأمما، هو فى الواقع سبب تعارفهم، وداعية الى قيام هذه الوحدات الحية فى كيان المجتمع الإنسانى الممثلة فى الشعوب والأمم.

ولقد اكد النبى ﷺ هذة الاخوة الانسانية ففى خطبة الوداع قال ﷺ (يا أيها الناس ان ربكم واحد، وان أباكم واحد، كلكم لادم وادم من تراب ان اكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربى على

عجمى، ولا لعجمى على عربى ولا لاحمر على ابيض ولا لابيض على احمر فضل الا بالتقوى الا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، الا فليبلغ الشاهد منكم الغائب).

ونبذ النبى العصبية بكل صورها وطبق ذلك على اهله فقال (يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتكثرها بآبائها). كما قال (ليس منا من دعا الى عصبية). وقال (لا عصبية فى الاسلام). وقال (ليدعن قوم الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما فى جهنم).

ومن الاحاديث النبوية قوله ﷺ (انما هلك من كان قبلكم بأنه اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف قطعوه، والذى نفسى بيده لو كانت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها).

وللاسلام قدمهه السنة الشريفة، أنه قد بلغ الرسول أن فردا هو ابو ذر الغفارى قد عير آخر هو بلالا بسواد أمه، فغضب ﷺ لذلك وقال لابى ذر (انك امرؤ فيك جاهلية). وفى رواية اخرى قال ﷺ (طف الصاع – أى استوى – ليس لابن البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالتقوى او بعمل صالح). فوضع ابو ذر خده على الارض وقال لبلال: قم فطأ على خدى.

ولما رأى الرسول أبا مسعود يضرب خادمه بسوط صاح فى وجهه (ارفع يدك ابا مسعود، فان الله اقدر عليك منك على هذا الغلام). وقال ﷺ (لن تؤمنوا حتى تراحموا) قالوا: يارسول الله كلنا رحيم. قال (إنه ليس برحمة أحدكم صاحبة ولكنها رحمة العامة) رواه الطبرانى ورواته رواة الصحيح.

أخوة الاسلام

قال تعالى ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِى الدِينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوَهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ الممتحنة ٦٠: ٨.

لم تقتصر سماحة النبى ﷺ مع المسلمين فقط بل شملت أهل الكتاب والمشركين أثناء الحرب فقد أوصى بالقبط خيرًا وثبت عنه أنه قال (إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرًا، فإن لهم ذمة ورحمًا) مسلم، وأحمد، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى.

وفى صحيح مسلم (ستفتحون أرضًا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا) مسلم فى فضائل الصحابة، وأحمد.

قال النووى: وفى رواية (ستفتحون مصر، وهى أرض يسمى فيها القيراط).. وفيها (فإن لهم ذمة ورحمًا) مسلم فى فضائل الصحابة، أحمد. **قال العلماء القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما،**

وكان أهل مصر يكثرون من استعماله والتكلم به، وأما الذمة فهى الحرمة والحق وهى هنا بمعنى الذمام، وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم. شرح مسلم.

ومما يؤكد حرص الاسلام على الإخوة الإنسانية بين البشر جميعا تمتع غير المسلمين بحقوقهم وحريتهم فى ظل الإسلام حتى اننا لنجد فى السنة النبوية الشريفة النهى عن ايذاء أهل الكتاب بقول الرسول ﷺ (من آذى ذميا فقد اذانى ومن آذانى فقد اذى الله). وبقوله (من آذى ذميا فأنا خصمه، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامة). وقوله ﷺ (من قذف ذميا حد له يوم القيامة بسياط من نار). وقوله (من قتل معاهدا –أى ذميا– لم يرح –يشم– رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما). وقوله (ألا من ظلم معاهداً أو انتقصة أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجة يوم القيامة). رواه أبو داود. وقال ﷺ (من خرج على أمتى يضرب برها وفاجرها ولايفى بعهد ذى عهد فليس منى) رواه مسلم. ويقول سيدنا على رضي الله عنه (من كانت له ذمتنا فدمة كدمنا وديته كديتنا).

وعنه ﷺ أنه قال (التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والتائب حبيب الرحمن).

•••

الحمد لله؛ الحمد لله المعتز بجلاله، المتفرد بكماله، المتوحد ببديع أفعاله، وأشهد ان لا اله الا الله، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ومصطفاه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، فاللهم صلى عليه صلاة كاملة، وعلى آله وأصحابه ذوى القلوب العامرة.

أما بعد، فيا أحباب رسول الله ﷺ

وفى عصر الخليفة سيدنا عمر رضي الله عنه شكا اليه احد أقباط مصر من أن ابن والى مصر عمرو بن العاص قد لطم ابنه لما غلبه فى سباق، وقال له اتسبق ابن الأكرمين، فما كان من عمر الا ان امر بحضور والى مصر وابنه الى مكة فى موسم الحج وفى جمع كبير من الناس اعطى عمر الدرة للقبطى وامره ان يقتص من "ابن الأكرمين" ثم اتجه الى عمرو وقال له تلك الكلمة المأثورة "متى تعبدتم –أى استعبدتم– الناس وقد ولدتهم أمهاتهم احرارا".

ورعاية الإسلام لغير المسلمين من أهل الكتاب هى التى جعلت الخليفة عمر لم يفرق فى كفالة

الدولة لبنيها بين المسلم واليهودى، فقد حدث ان مر بباب قوم وعليه سائل يسأل: شيخ كبير ضرير البصر فسأله عمر: من أى أهل الكتاب أنت؟ فقال: يهودى. فسأله: ما ألجأك إلى ما أرى. قال: "أسأل الجزية والحالة والسن" فأخذ عمر بيده الى منزله وأعطاه، ثم أرسل الى خازن بيت المال فقال له "انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه ان أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم".

كذلك جاء فى كتاب خالد بن الوليد لاهل الحيرة "جعلت لهم أى اهل الذمة أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت حريته وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة".

وفى ساحة القضاء لا يعطى الإسلام أى اعتبار لغير الأخوة الإنسانية والمساواة فيها والواقع العملى اكبر دليل؛ فقد جاء فى كتاب القضاء: من عمر بن الخطاب الى قاضى القضاة أبى موسى الاشعرى، قال له: "آس أى ساو بين الناس فى وجهك ومجلسك وقضائك حتى لا يطمع شريف فى حيفك –ظلمك– ولا ييأس ضعيف من عدلك". هكذا يطلب من القاضى الا يفرق بين المتخاصمين حتى فى نظرته أو مجلسه ولو كان من اهل الكتاب.

وفى الأثر أن يهوديا خاصم على ابن أبى طالب ابن عم الرسول ﷺ وصهره الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، فنادى أمير المؤمنين عليا بقوله "قف يا أبا الحسن" فبدأ الغضب على على فقال له عمر "أكرهت ان نسوى بينك وبين خصمك فى مجلس القضاء؟" فقال على "لا، ولكنى كرهت منك أن عظمتنى فى الخطاب فناديتنى بكنيتى ولم تصنع مع خصمى اليهودى ما صنعت معى".

اللهم اجعلنا من الملتزمين بشريعة النبى السمحة، اللهم احشرنا فى زمرة النبى وآله، اللهم لا تجعل فينا شقيا ولا محروما ولا متعسرا أبدا يارب العالمين، اللهم تب علينا لنتوب واغفر لنا الذنوب واسترنا يارب العالمين، اللهم لا تجعل فى جمعنا هذا ذنبا إلا غفرته و لا عيبا إلا سترته ولا مريضا إلا شفيته ولا دينا إلا قضيته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لنا فيها صلاح ولك فيها رضا إلا قضيتها ويسرتها لنا بكرمك وجودك يا اكرم الاكرمين، اللهم جنب بلدنا الوباء والغلاء والفتن ما ظهر منها وما بطن واجعله بلدا امنا سخاءً ورخاءً وسائر بلاد المسلمين يارب العالمين، اللهم وفق ولاة امورنا لما تحبه وترضاه امين.

عباد الله ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على حبيبكم يشفع لكم وأقم الصلاة.

المرجع: سماحة الاسلام وحقوق غير المسلمين (وزارة الاوقاف المصرية)

حق الطريق

الحمد لله؛ الحمد لله الذى عصم أنبيائه من الدنيا وزخرفها، وعرف أولياءه آفاتها، وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها، فتجرعوا مرارة الصبر فى مقاطعتها، واشهد إن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وشفيعنا وقرة أعيننا وملاذنا، سيدنا محمد عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد، حفظ أمته من كل زيغ وهوى، وتشفع فيمن سقط منهم على الجوى، فهو الرحمة المهداه، والنعمة المسداه، صلى الله عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه الهداة المهديين، ومن تمسك بهديهم إلى يوم الدين.

أما بعد، فيا أحباب رسول الله ﷺ

أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى عليه السلام [يا موسى إن أردت أن أكون إليك أقرب من لسانك إلى كلامك، ومن نور بصرك إلى عينيك، ومن سمعك إلى أذنك، فأكثر من الصلاة على حبيبى محمد ﷺ].

قال تعالى ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ النور ٢٤: ٣٠.

نعيش سويا بحول الله ومدده مع حق من الحقوق الإسلامية المباركة الكريمة، انه "حق الطريق".

روى البخارى ومسلم من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال (اياكم والجلوس فى الطرقات) قالوا: يا رسول الله، ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها. قال (فاذا أبيتم الا المجلس فأعطوا الطريق حقه) قالوا: يا رسول الله، فما حق الطريق؟ قال (غض البصر، وكف الاذى، ورد السلام، والامر بالمعروف، والنهى عن المنكر).

إن المجتمع الاسلامى الذى وضع القران الكريم قواعده المتينة الراسخة، وأرسى لبناته على يد المصطفى ﷺ، مجتمع فريد فى كل شيئ، مجتمع سليم العقيدة، مجتمع صحيح العبادة، مجتمع نقى السريرة، مجتمع طاهر اللسان، مجتمع نظيف المشاعر والاخلاق، مجتمع تصان فيه الحرمات، مجتمع له أدب مع الله، مجتمع له أدب مع نفسه، مجتمع له أدب مع غيره، مجتمع

رباه الله جل وعلا على يدى من رباه الله على عينه ليربى به الدنيا، ولم لا يكون المجتمع الاسلامى كذلك؟ لم لا! وقد حوطه النبى ﷺ بسياج أمين من الضمانات الوقائية التى تدفع المفاسد والشرور والفتن، وتجلب المصالح والمنافع له فى الدنيا والسعادة فى الآخرة، ومن هذه الضمانات الوقائية التى تجلب المصالح وتدفع المفاسد والشرور؛ قوله ﷺ (اياكم والجلوس فى الطرقات) لماذا؟ لان الطريق العام يختلط فيه الحابل بالنابل، وأرجو الا تنسوا أن الوصية النبوية كانت لمجتمع الصحابة مجتمع الطهر والعفة. فكيف لو رأى النبى ﷺ مجتمعات المسلمين الان؟ فالرسول ﷺ يحذر من الجلوس فى الطرقات، يحذر من؟ يحذر الأطهار، يحذر الأبرار، يحذر الصحابة الأخيار، الذين زكاهم العزيز الغفار وعدلهم النبى المختار يقول لهم (اياكم والجلوس فى الطرقات) فيكف يكون قول النبى ﷺ لنا الآن. ولماذا لا نجلس فى الطرقات؟ لآن الطريق طريق للآشراف والسفهاء، وهو طريق للعقلاء الملتزمين، وهو طريق فى الوقت ذاته للتافهين والساقطين ممن لا يحملون هما يؤرقهم ولا دينا يحركهم، فتراهم يجلسون على الطرقات من أجل النظر للمتبرجات اللاتى خرجن من بيوتهن على أكمل زينة وفى أحلى صورة، خرجن يتمايلن فتميل قلوب الرجال اليهن.

وصدق المصطفى ﷺ إذ يقول كما فى صحيح مسلم؛ من حديث أبى هريرة رضي الله عنه (صنفان من أهل النار لم أرهما؛ قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا).

والحق الاول للطريق هو غض البصر:

أنا أسأل وأقول: هل من يجلس فى الشوارع والطرقات على النواصى يغض بصره عن المسلمات؟ أنا أسأل: هل يغض بصره؟ أم تراه قد ضبط الكرسى الى موطن الشارع على اتساعه ليرى هذه وتلك، وليدقق النظر فى هذه بعد تلك، بل وربما يجرح مشاعر مسلمة عفيفة بكلمة نابية، بل وربما هو ذئب لئيم، يميل قلب مسلمة بكلمات خبيثة ما سمعتها من زوج يشقى ويعمل، فتظن المسكينة ان الحياة الزوجية ما هى الا هذه الكلمات التى تسمعها الآن ولأول مرة، فترجع الى البيت ليتحول قلبها على زوجها المسكين المجتهد الصادق لكنه خبث القلوب وبغض النفوس.

فأول حق للطريق هو غض البصر والبصر نعمة، من أعظم النعم، ما أنعم الله بها علينا لنستخدمها فى معصية لنطلق العنان لهذا البصر اليوم الى ما حرم الله، هذا البصر ستسأل عنه كما قال جل وعلا ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ الاسراء ١٧: ٣٦.

فالعينان هما الحاستان المطلتان من هذا الهيكل الجسمانى على هذا الكون الفسيح بما فيه من خير وشر، وحسن وقبح، وانتبه فقد ينظر الرجل أو الشاب على قارعة الطريق الى امرأة متبرجة، ويدقق النظر ويعاود النظر ثم يرجع الى بيته، فيرى قلبه متقلبا على امرأته، حتى لو وقف فى الصلاة بين يدى الله يرى صورة المرأة أمام عينه فى بيت الله، انظروا الى خطر البصر لماذا؟ لأن البصر إن نظر ودقق تنطبع الصورة التى رأتها العين فى القلب، فلا تفارق الصورة القلب بعد ذلك الا اذا شاء من بيده القلوب.

انتبه معى لهذه اللفته القرآنية الرائعة فقل من انتبه إليها، سترون العجب العجاب، ففى سورة النور فى آية واحدة يجمع الله عز وجل فيها بين غض البصر وحفظ الفروج. انظر الى هذه اللفته القرآنية الباهرة ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ النور ٢٤: ٣٠. وفى الآية الثانية ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فَرُوجَهُنَّ﴾ النور ٢٤: ٣١.

وفى الصحيحين عن أبى هريرة ﷺ قال: قال المصطفى ﷺ (العينان زناهما النظر، والاذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه).

والحق الثانى هو كف الاذى:

ففى الصحيحين من حديث أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال (الايمان بضع وسبعون، أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا اله الا الله، وأدناها: اماطة الاذى عن الطريق، والحياء شعبة من الايمان).

فمن الاذى أن تضع سيارتك فى الطريق؛ لتعطل سير المارة، ومن الأذى أن تترك ماء بيتك سواء كان هذا الماء طاهراً أو نجساً، ليتسرب الى الشوارع والطرقات ليؤذى المارة. ومن الاذى أن

يميل غصن من أغصان شجرتك المزروعة أمام بيتك؛ ليعطل سير المارة.

فكف الاذى سواء كان ماديا أو معنويا من حق الطريق .قال ﷺ كما فى الصحيحين من حديث أبى موسى الاشعرى ﷺ (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده). فمن كف الاذى: أن يسلم المسلمون فى طريقهم من أذاك المادى والمعنوى، إن جلست على الطريق فلا تغمز، ولا تلمز، ولا تغتب أحدا، ولا تجلس بالنميمة بين هذه المجموعة لتنتقل بكلامها الى مجموعة أخرى.

والحق الثالث هو رد السلام:

قال الإمام القرطبى ﷺ فى كتابه "الجامع لأحكام القرآن الكريم" قال "لقد أجمعت الامة بلا خلاف أن الابتداء بالسلام سنة، وأن رد السلام فريضة" فالابتداء بالسلام سنة، أما رد السلام ففرض، فمن حق الطريق إن جلست أن ترد السلام. ويتألم الانسان اذا قال لمجموعة من الناس يجلسون على قارعة طريق من الطرق: السلام عليكم ورحمة الله؛ فلا ترد المجموعة أو تقول: سلام، فما هكذا علمنا الصادق ﷺ؛ فالنبى ﷺ علمنا كيف نلقى السلام؟ وكيف نرد السلام؟ فقد جاء رجل الى النبى ﷺ فقال: السلام عليكم. فرد عليه السلام، ثم جلس، فقال النبى ﷺ (عشر). ثم جاء اخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله. فرد عليه، فجلس، فقال ﷺ (عشرون). ثم جاء اخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فرد عليه، فجلس، فقال (ثلاثون). أى: ثلاثون حسنة. هذا هو السلام الذى سنه لنا رسول السلام، وعليك أن ترد بما ألقى عليك أو بأحسن. قال تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ النساء ٤: ٨٦.

وفى الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ أن رجلا سأل النبى ﷺ: أى الاسلام خير؟ قال (تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف).

وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال (لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شئ اذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم).

وفى مسند أحمد بسند صحيح من حديث عبد الله بن سلام ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام).

فرد السلام فرض، فمن جلس على قارعة الطريق لحاجة أو لضرورة فيجب عليه أن يرد السلام إن

سَلم عليه مسلم من المسلمين.

وعنه ﷺ أنه قال (التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والتائب حبيب الرحمن).

•••

الحمد لله؛ الحمد لله الواحد الأحد الموجود، الفرد الصمد المعبود، واشهد آن لا اله آلا الله وحده لا شريك له، واشهد ان سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وشفيعنا وقرة أعيننا وملاذنا، سيدنا محمد عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، اعظم النبيين دعوة، وارفعهم درجه وأفضلهم شفاعة، وأقربهم منزله، وأوضحهم حجه، اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد، طب القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها، ونور الأبصار وضيائها، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه ذوى العلم والعدل والعرفان، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فيا أحباب رسول الله ﷺ

اما الحق الرابع والخامس معا فهما الامر بالمعروف والنهى عن المنكر:

فهو شرط من شروط خيرية هذه الامة قال تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾ آل عمران ٣: ١١٠. وقال تعالى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾ آل عمران ٣: ١٠٤.

فمن يجلس على قارعة الطريق ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ان رأى المنكر بين يديه؟

والله ما انتشرت المنكرات وانتشر الفساد الا يوم إن صار المسلمون ينظرون الى المنكرات فيهز أحدهم كتفيه، ويمضى وكأن الأمر لا يعنيه من قريب أو بعيد، بل لقد ضاع الحياء كالجهر بالمعصية والتحرش، وهذا بكل أسف لا ينكر، وإن سبب ازعاجا للمارة أو خدش لحيائهم، أما إن رفع الأذان خارج بيت من بيوت الله، أو رفع ذكر الله، فقد يشتكى الناس ويتأذون. فصار سماع صوت الأذان وذكر الله مؤذيا، وقلما تجد من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فرض عين على كل مسلم ومسلمة. لا عذر لأحد بين يدى الله الا أن يأمر بالمعروف والا أن ينهى عن المنكر بغير منكر، لأن الأمر بالمعروف والنهلى

عن المنكر مرتبط بالآية الكريمة التى تقول ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل ١٦: ١٢٥، وإذن فشرط الأمر والنهى أن يتم بالحكمة والموعظة الحسنة، وذلك لأن هناك من يستطيع أن يغير المنكر بيديه بالضوابط الشرعية وهناك من لديه الحكمة ويستطيع أن يغيره بلسانه، وهناك من لديه القدرة الإيمانية العالية والتخلق بالأخلاق الإلهية والتى تمكنه من تغيير المنكر بقلبه. ولكن لا عذر لمن لا يستطيع التغيير أنه على الأقل ينكر المنكر بقلبه، هذا يملكه كل مسلم ومسلمه.

قال ﷺ كما فى صحيح مسلم من حديث أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه (من رأى منكم منكرآ فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الايمان). وبالطبع كما هو واضح من ألفاظ الحديث أن كلمة "ذلك" هى اسم إشارة للشيئ البعيد، بمعنى أن أضعف الإيمان هو كما ذكرنا من قبل هو التغيير باليد والبطش، وأقوى منه فى الإيمان التغيير باللسان والإقناع وذلك لا يتأتى إلا بقوة إيمان حيث أن ما خرج من القلب وصل إلى القلب وما خرج من اللسان فقط لا يتعدى الآذان. أم التغيير بالقلب فكما ذكرنا سلفا يحتاج إلى الأقوى إيمانا لأنه يغير دون أن يمس باليد أو يتكلم باللسان، وهذا لا يكون إلا للصالحين، الذين لهم ما يشاؤن عند ربهم، وانظر للكلمة القرآنية "ما يشاؤن" وتعنى أنهم لم يتفوهوا بطلب ولكن خطر على قلبهم فشاؤوا فاستجاب الله لهم.

والنبى ﷺ قد شرع لأمته تغيير المنكر ليحصل من المعروف ما يحبه الله ورسوله، ولكن إن كان تغييره يستلزم ما هو أنكر، فهو أمر بمنكر، وسعى فى معصية الله ورسوله، ولقد كان النبى ﷺ يرى بمكه أكبر المنكرات ولا يغيرها إتقاء لشر أكبر، بل لما فتح الله عليه مكه وصارت مكة دار اسلام، فإن النبى ﷺ قال للسيدة عائشة أنه امتنع عن هدم البيت الحرام وإعادة بناءه على قواعد ابراهيم، ومع قدرته على فعل ذلك؛ لأن قريشآ كانت حديثة عهد بكفر، وقريبة عهد باسلام. واذا فلابد عند تغيير المنكر باليد من الموازنة بين المصالح والمفاسد، بين المنكر الاصلى وبين المنكر الذى قد يترتب على التعرض للمنكر الاصلى.

وفى صحيح مسلم أيضا، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال (ما من نبى بعثه الله فى أمه قبلى، الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته، ويقتدون بأمره، ثم انها

تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل). وانظر هنا أيضا إلى استخدام كلمة "ذلك" عند ذكر أضعف الإيمان، وهذا أمر منطقى فالإيمان محله القلب فلا يكون من يجاهد بقلبه الأضعف إيمانا ولكن من يجاهد بيده، ولذلك قال ﷺ (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) قيل: وما الجهاد الأكبر يا رسول الله؟ قال (جهاد النفس). وهو عمل قلبى بالدرجة الأولى. و(إن فى الجسد لمضغة إن صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله).

وينبغى أن ننبه أن من تغيير المنكر باليد أن تزول أنت بنفسك عن موطن المنكر الذى عجزت عن تغييره. فقد قال سبحانه ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ الانعام ٦: ٦٨.

وهناك مقول غير سليمة تقول: أن التغيير باليد للحاكم والسلطان وباللسان للعلماء وبالقلب للعامة. وبالطبع كما أوضحنا فإن مغادرة مكان المنكر هو تغيير باليد وهو للعامة، والتغيير بالإقناع هو للدعاة المهديين المؤمنين، ولكن التغيير بالقلب فهو للصالحين. لأن الخلط بين "التغيير" وبين "الإنكار". والإنكار بالقلب موجود للجميع وهو مقدمة للتغيير.

ولقد ارتقى الصديق ﷺ المنبر وقال بعدما حمد الله وأثنى عليه: أيها الناس، انكم تقرؤون آية فى كتاب الله وتضعونها فى غير موضعها ألا وهى قول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ المائدة ٦: ١٠٥. وقال الصديق: وانى سمعت رسول الله ﷺ يقول (ان الناس اذا رأوا المنكر، ولم يغيروه، أوشك الله أن يعمهم بعذاب من عنده). وفى لفظ لحذيفة ﷺ (ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، يوشك الله أن يعمهم بعذاب من عنده) وفى لفظ (ثم يدعونه فلا يستجاب لهم)

وفى صحيح البخارى من حديث النعمان بن بشير ﷺ ان البشير النذير ﷺ قال (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا، فان يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا

جميعا).

فيجب على أهل الاصلاح والصلاح أن يأخذوا على أيدى السفهاء والطالحين. وبكلمة رقيقة رقراقة عذبة حلوة، أو برسالة مهذبة، أو بتليفون هاتف هادف أو حتى بإظهار الإنكار ومغادرة مكانه.

فاللهم اذهب عنا حب الدنيا وغرورها، ونجنا من آفاتها وشهواتها، اللهم تب علينا لنتوب، واغفر لنا الذنوب، واستر لنا العيوب، واجلوا عنا صدا القلوب، واجمعنا بحبيبك المحبوب ﷺ، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم وارحم الأموات، انك يا مولانا سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين، اللهم لا تجعل فى جمعنا هذا ذنبا إلا غفرته، ولا عيبا إلا سترته، ولا مريضا إلا شفيته، ولا دينا إلا أديته، ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها ويسرتها لنا، بفضلك وكرمك وجودك يا اكرم الآكرمين.

عباد الله ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على حبيبكم يشفع لكم، وقوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله.

حق اليتيم

الحمد لله؛ الحمد لله الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فدينه ﷺ أفضل الدينات، وزمنه ﷺ خير الازمنه، وأمته ﷺ خير الامم ﴿كنتم خير أمة اخرجت للناس﴾ وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، الواحد الاحد الموجود، الفرد الصمد المعبود، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فى الوجود، وأشهد ان سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وشفيعنا وقرة أعيننا وملاذنا، سيدنا محمد عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، الذى توجه ربه بتاج الجمال، والبسه لباس الكمال، وزينه بأشرف الخصال، اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد، الذى تنحل به العقد، وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج، وتنال به الرغائب، وحسن الخواتم، ويستسقى الغمام بوجهه الكريم، وعلى اله واصحابه وازواجه أمهات المؤمنين، ومن اهتدى بهديهم الى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ أكثروا من الصلاة عليه ﷺ

قال ﷺ لرجل من أصحابه (ما قلت البارحة من قول الخير؟) قال الرجل: يا رسول الله صلى الله عليك قلت "اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من الصلوات شئ وبارك على محمد وعلى آل محمد حتى لا يبقى من البركات شيء وارحم محمداً وآل محمد حتى لا يبقى من الرحمات شئ" فقال ﷺ (لذلك رأيت البارحة الملائكة يحفون بأزقة المدينة).

قال تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ اليَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ مِنَ المُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة ٢: ٢٢٠.

نعيش سويا بحول الله ومدده مع حق اليتيم، فمن هو اليتيم؟

قال ابن منظور فى لسان العرب: اليتيم فى الناس: من فقد أباه، فأصل اليتم فى اللغة: الغفلة، وبه سمى اليتيم يتيما؛ لانه يتغافل عن بره بعد موت أبيه، وأصل اليتيم فى اللغة أيضا: الانفراد فى كل شئ مفرد لا نظير له، ولا مثيل له يقال له: يتيم.

وكذلك هناك "اليتيم الذى كان يتمه تشريفا لكل يتيم"، فلقد شاء الله جل وعلا – ولا راد لمشيئته – أن ينشأ المصطفى ﷺ يتيما، مات أبوه وأمه تحمله جنينا فى أحشائها، وقيل: بل مات

أبوه عبد الله قبل مولد المصطفى ﷺ بشهرين، فكفله جده عبد المطلب الذى تعلق بالمصطفى ﷺ تعلقا شديدا، وكان عبد المطلب صاحب مكانة كبيرة فى قومه فكان أولاده يفرشون له فراش الى جوار الكعبة، ولا يجرؤ أحدهم أن يجلس على هذا الفراش الا اذا خرج عبد المطلب، فكان اذا جلس عبد المطلب على فراشة جاء المصطفى وهو طفل صغير ليجرى على هذا الفراش ليجلس الى جوار جده فيحاول أولاد عبد المطلب أن يمنعوه فيأبى عليهم عبد المطلب، ويقربه ويجلسه ﷺ فى حجرة، ثم مات جده عبد المطلب وهو فى الثامنة من عمره بعد ما فارق أمه وهو فى السادسة من عمره، فكفله عمه أبو طالب فخصه بمزيد من التقدير والرعاية والعناية، وأحاطه بالحماية حتى مات أبو طالب قبل هجرة المصطفى ﷺ بثلاث سنوات على الراجح من أقوال أهل التاريخ والسير، فشاء الله سبحانه أن ينشأ المصطفى ﷺ يتيما، فقد أباه، ثم فقد أمه، ثم فقد جده، وليس هذا من قبيل المصادفة، فلا يوجد شئ فى كون الله الا بقدر قال سبحانه ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ القمر ٥٤: ٤٩، شاء الله أن ينشأ المصطفى يتيما ليتولاه الله وحده بالعناية والرعاية، حتى لا ينشأ المصطفى ﷺ يقول: أبى أبى. وانما يقول: ربى ربى. نشأ المصطفى ﷺ يتيما ليتولاه ربه وحده بالرعاية، ومن تولاه الله برعايته أحسن الله بدايته، وأكرم الله نهايته، وزاد الله بين البداية والنهاية كرامته، فما ظنك ان كان المتولى بالرعاية هو الحبيب المصطفى ﷺ. فوالله، ثم والله، ما خلق الله وما ذرا وما برأ نفسا هى أكرم عليه من نفس سيدنا محمد، وانه لمكتوب عند الله خاتم النبيين، فكيف اذا كان المتولى بالعناية والرعاية من الله المدبر لامر الكون كله هو حبيب الله المصطفى ﷺ. فوالله ما أحب الله مخلوقا كما أحب رسولنا وحبيبنا ﷺ، فلقد خلق الله الخلق واصطفى من الخلق الانبياء، واصطفى من الانبياء الرسل، واصطفى من الرسل أولى العزم الأربعة: سيدنا نوحا وسيدنا ابراهيم وسيدنا موسى وسيدنا عيسى، ثم اصطفى سيدنا محمد ﷺ فكرمه على جميع خلقه، فرفع ذكره، وشرح صدره، وأعلى قدره، ووضع عنه وزره، ثم من عليه جل وعلا، وأقسم بالضحى، والليل اذا سجى، أنه ما ودع حبيبه المصطفى ﷺ وما هجره وما قلى، فتدبر معى قول ربنا جل فى علاه ﴿وَالضُّحَى • وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى • مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى • وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى • وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى • أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى • وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى • وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى • فَأَمَّا اليَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ • وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ • وَأَمَّا

بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ الضحى. فكان يتمة تشريفا لكل يتيم.

فكيف كانت مكانة اليتيم فى القران والسنة:

يقول الحق سبحانه وتعالى ﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي القُرْبَى وَالْجَارِ الجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً﴾ النساء ٤: ٣٦، انها مكانة عظيمة أن يربط الله بين الامر بعبادته وبين الامر بالاحسان الى اليتيم، وستعجبون اذا علمتم أن الامر بالاحسان الى اليتامى ليس خاصا بأمة المصطفى ﷺ، وانما أمر الله بالاحسان الى اليتيم جميع الأمم السابقة، بل وجعل الاحسان الى اليتامى ميثاقا جامعا من المواثيق التى أخذها على بنى اسرائيل، تدبر قول الله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي القُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ البقرة ٢: ٨٣، ومن هذا المنطلق يأمر الله جل وعلا أولياء اليتامى أن يتقوا الله فى أموال اليتامى، وألا يقربوا أموالهم الا بالتى هى أحسن، وحذرهم من تبديدها وتبديلها بالخبيث، أو المتاجرة بها فى الحرام، فقال تعالى ﴿وَآتُوا اليَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُوا الخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾ النساء ٤: ٢، أى كان أثما عظيما وظلما بينا، بل وأوجب الله فى أيه جامعة، أوجب على ولى اليتامى ألا يسرف فى الانفاق من أموالهم، واذا بلغ اليتامى الرشد وسن النكاح وصاروا قادرين على تدبير شؤونهم والمحافظة على أموالهم، أوجب الله على ولى اليتامى أن يردوا أموالهم اليهم كاملة غير منقوصة، وأوجب الله على ولى اليتامى ان كان غنيا ألا يأكل من مال اليتيم، فان كان فقيرا أكل بالمعروف من غير اسراف ولا تبذير، وأوجب الله على ولى اليتامى بألا يهدر أموال اليتامى قبل أن يكبر أصحابها، ليأخذوا حقهم، وأوجب الله على ولى اليتيم أن يرد اليهم أموالهم، وأن يشهد ذلك ابراء لذمته ودرءا للشبهة عنه. ورأى المالكية والشافعية: أن الأمر بالاشهاد عند رد المال للوجوب وان كان الأحناف قد رأوه للندب؛ فتدبروا كل هذه المعانى التى ذكرت فى آية واحدة جامعة، بأوجز لفظ وأعجز أسلوب، يقول الله تبارك وتعالى ﴿وَابْتَلُوا اليَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُوا وَمَن كَانَ غَنِياً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا

دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً﴾ النساء ٤: ٦، يا لها من خاتمة جليلة ﴿وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً﴾ ان استطعت فى المجلس الحسبى أن تزور، ان استطعت عن طريق المحاماة أن تحرف، فكن على يقين بأن الذى يطلع على قولك وعملك ونيتك هو الذى يعلم السر وأخفى ﴿وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً﴾ يا لها من خاتمة قال سبحانه ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ • إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ الشعراء ٢٦: ٨٨-٨٩، ومن ثم يأتى هذا التحذير الرهيب، والوعيد الشديد، لمن يأكلون أموال اليتامى، تدبر معى قوله سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ النساء ٤: ١٠، مشهد مرعب، مشهد النار وهى تتأجج فى البطون ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ لما نزلت هذه الاية شق ذلك على اصحاب المصطفى ﷺ وكانوا وقافين عند كلام الله، كان القران يتنزل على رسول الله ﷺ فيتلوا الرسول ﷺ القران عليهم، فترتجف القلوب. فلما نزلت الاية الكريمة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ شق ذلك على اصحاب النبى ﷺ. فانطلق كل ولى لليتامى فعزل طعامه عن طعام اليتامى، وعزل شرابه عن شراب اليتامى، فكان الطعام يقدم لليتيم حتى يشبع فان تبقى شئ من طعام اليتيم لا تمتد اليه يد حتى يأكله اليتيم مرة اخرى، أو يفسد، فشق ذلك على أصحاب المصطفى ﷺ فذهبوا الى رسول الله ﷺ، فأخبروه فرفع الله الحرج والعنت وأنزل على حبيبه ﷺ قوله تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة ٢: ٢٢٠.

ويأتى اليتيم الذى كان يتمه تشريفا لكل يتيم ليكرم اليتامى، ففى السنة الشريفة المطهرة فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن المصطفى ﷺ قال (أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين) وأشار بأصبعيه؛ يعنى: السبابة والوسطى.

ماذا لو اخبرتك اخى الحبيب بأنك ستكون فى الجنة مع الحبيب المصطفى ﷺ، هل فكرت فيها؟ اسمع الحديث مرة اخرى وتدبر؛ يقول الحبيب: (أنا وكافل اليتيم فى الجنة كهاتين) وأشار بأصبعيه يعنى: السبابة والوسطى. انظر الى تقارب السبابة والوسطى، هذه منزلة كافل اليتيم فى الجنة مع المصطفى ﷺ بل وتدبروا هذا الحديث الذى رواه أبو يعلى، بسند قال فيه الحافظ ابن

حجر "اسناده لا بأس به" من حديث أبى هريرة ﷺ، أن النبى ﷺ قال (أنا أول من يقرع باب الجنة ..). أول من يحرك باب الجنة هو نبينا ﷺ، فالجنة محرمة على كل أحد حتى يدخلها المصطفى ﷺ يوم القيامة، بل ولا تدخل أمة من الأمم الجنة قبل أمة المصطفى ﷺ، يقول الحبيب ﷺ (أنا أول من يفتح باب الجنة، فأرى امرأة تبادرنى) – يرى الحبيب امرأة تسابقه لتدخل معه الجنة فى منزلته العالية – يقول المصطفى ﷺ (فأقول لها ما لك من أنت؟ فتقول هذه المرأة: انا امرأة قعدت على أيتام لى). امرأة ربت يتامى، مات زوجها وهى فى ريعان الصبا والشباب، فأبت الا ان تفرغ نفسها لتربية أولادها، تربية ترضى الرب سبحانه، هذه هى منزلتها، تركت كل لذة، واستعلت على كل شهوة، ورفضت الخُطَّاب، وتفرغت لتربية أولادها اليتامى، هذه هى منزلتها مع الحبيب ﷺ.

وأخيرا أختم بهذا الحديث وهو فى أعلى درجات الصحة ،الحديث رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة ﷺ أن المصطفى ﷺ قال (الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو كالذى يصوم النهار ويقوم الليل).

أو كما قال التائب من الذنب كمن لا ذنب له. التائب من الذنب حبيب الرحمن. ادعوا الله.

•••

الحمد لله؛ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، فلك الحمد على مكارمك التى لا تستقصى فى الليل إذا ادبر والصبح إذا أسفر وفى البر والبحار والغدو والآصال والعشى والإبكار والظهيرة والأسحار وفى كل جزء من اجزاء الليل والنهار، واشهد أن لا اله الا الله وحدة لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمد عبد الله ورسوله وصفية وخليلة وحبيبه وأمينه ودليله اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى اله وصحبه وسلم.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ أكثروا من الصلاة على النبى ﷺ

وهناك يتم رغم وجود الوالدين، فإن أصل اليتم فى اللغة هو الانفراد، فقد يشعر كثير من أولادنا باليتم رغم وجود الوالدين؛ لأن الوالدين قد انشغلا عن الاولاد؛ لأن الوالد انشغل بتجارته، ربما يعذر الوالد المسكين الذى انشغل بالعمل؛ ليوفر لأولاده لقمة العيش الكريمة، لكنه – والله – لا يعذر ان وجد عنده رمقا من الوقت فعاد الى بيته ليقتل هذا الوقت البسيط مثلا بالجلوس أمام

التلفاز؛ لينشغل بهذا الوقت القليل أيضا عن أولاده، وتزداد المصيبة اذا انشغلت الأم هى الاخرى بالوظيفة، خرجت الى الوظيفة بغير حاجة ولا ضرورة. وكذا انشغل الوالد، وظن الوالد المسكين أن وظيفته الاولى فى البيت أنه ممثل لوزارة المالية، كم تحتاج الأم من أموال يدفع، كم يحتاج الولد من أموال يمنح وفقط، وظنت الأم هى الأخرى أنها ما هى الا مصدر للوضع فحسب، فقدت أمومتها يوم أن تخلت عن وظيفتها التربوية، وفقد الوالد أبوته يوم أن تخلى عن وظيفته التربوية، وشعر الاولاد بيتم تربوى حقيقى فى كثير من البيوت.

فليس اليتيم من أنتهى أبواه وخلفاه فى هم الحياة ذليلا

ان اليتيم هو الذى ترى له أماً تخلت أو أباً مشغولا

يتم رغم وجود الوالدين! اللهم احفظ لنا أولادنا بحفظك، اللهم رب لنا أولادنا يا كريم. قال جل وعلا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ التحريم ٦٦: ٦.

وقال ﷺ كما فى الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنه (كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، الإمام راع ومسؤول عن رعيته، والرجل راع فى اهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسؤوله عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسؤول عن رعيته).

وأخيرا أطرح هذا السؤال المهم: كيف تؤمن مستقبل ولدك بعد موتك؟

سؤال قد يبدو غريبا للوهلة الاولى، لكن ستزول الغرابة فورا بعد ترتيلى لقول الله جل وعلا ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً﴾ النساء ٤: ٩، حقق التقوى ليحفظ الله لك أولادك بعد موتك، هذا وعد ربى، قل قولا سديدا؛ ليتول الله أولادك بالرعاية والعناية بعد موتك.

دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز وهو على فراش الموت، فقال مسلمة وهو ابن عم عمر: يا أمير المؤمنين، ألا توصى لاولادك بشئ من المال، فلقد تركت أولادك فقراء؟ فقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: يا مسلمة، وهل أملك شيئا من المال لاوصى به لاولادى؟ أم تريد أن أمنحهم من مال المسلمين ما ليس لهم؟! لا يكون ذلك، فانهم أحد رجلين: اما أن يكونوا صالحين فالله يتولى الصالحين، واما أن يكونوا غير ذلك ولا أدع لهم ما يستعينون به على معصية

الله، وأسأل أنا عنه بين يدى الله. ثم قال عمر: أدخلوا أولادى على فدخلوا عليه وهو على فراش الموت، فنظر اليهم وبكى وقال: يا بنى، ان أباكم قد خير بين أمرين بين أن يترككم أغنياء ويدخل النار، وبين أن يترككم فقراء ويدخل الجنة، ولقد اختار أبوكم الجنة ان شاء الله، فاما أن تكونوا صالحين فالله يتولى الصالحين، واما أن تكونوا غير صالحين فلا أدع لكم ما تستعينون به على معصية الله، وأسأل أنا عنه بين يدى الله، اخرجوا عنى، فخرجوا عنه وظل يردد قول الله تبارك وتعالى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُواً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ القصص ٢٨: ٨٣، حتى توفاه الله جل وعلا، والله ما مضى وقت كبير وقد جاء ولد من أولاد عمر بن عبد العزيز يحمل الصدقة على بعير؛ ليتصدق بها على الفقراء والمساكين، وقد تركهم عمر لا يملكون من حطام الدنيا شيئا، انه وعد الله سبحانه، ولا تعارض بين أن تحقق التقوى لولدك، وبين أن تكدح وتسعى، وأن تترك لهم مالا، لا تعارض بين هذا وذاك.

ففى الصحيحين من حديث سعد بن أبى وقاص ﷺ أن النبى ﷺ لما دخل عليه؛ ليزوره فى مرض الموت قال له سعد: يا رسول الله، أوصى بمالى كله؟ قال: (لا) قلت: فالشطر؟ قال: (لا) قلت: الثلث؟ قال: (فالثلث، والثلث كثير) ثم قال ﷺ (انك أن تذر ذريتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة – أى فقراء – يتكففون الناس). فلا حرج فهذا من التوكل على الله فالتوكل على الله أن تأخذ بالاسباب وأن تعلق قلبك بمسبب الأسباب تبارك وتعالى.

فاللهم لا تجعل فينا شقيا ولا محروما ولا متعسرا أبدا يارب العالمين، اللهم امحوا شقاوتنا و أثبتنا من السعداء، اللهم تب علينا لنتوب واغفر لنا الذنوب واسترنا يارب العالمين، اللهم لا تجعل فى جمعنا هذا ذنبا إلا غفرته ولا عيبا إلا سترته ولا مريضا إلا شفيته ولا دينا إلا قضيته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لنا فيها صلاح ولك فيها رضا إلا قضيتها ويسرتها لنا بكرمك وجودك يا اكرم الاكرمين، اللهم جنب بلدنا الوباء والغلاء والفتن ما ظهر منها وما بطن واجعله بلدا امنا سخاءً ورخاءً وسائر بلاد المسلمين يارب العالمين، اللهم وفق ولاة امورنا لما تحبه وترضاه امين.

عباد الله ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على حبيبكم يشفع لكم، وأقم الصلاة.

الحياء

الحمد لله رب العالمين الذى أكرم عباده بإرساله خاتم الأنبياء والمرسلين، يهدى الناس الى الحق ويرشدهم الى الصراط المستقيم، ويخرج الناس من الظلمات الى النور بإذن الله الى صراط العزيز الحميد، نسألك اللهم أن توفقنا الى إتباع دينه القويم والأخذ بشريعته السمحاء، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له القائل فى محكم كتابه مادحا ومثنيا على حبيبه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ﴿وما أرسلناك الا رحمة للعالمين﴾ وأشهد ان سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وشفيعنا سيدنا محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم، اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

يقول المصطفى ﷺ (من صلى علىَّ يوم الجمعة مائة مرة جاء يوم القيامة ومعه نور لو قسم ذلك النور بين الخلائق كلهم لوسعهم).

فيا أحباب رسول الله ﷺ نتحدث اليوم عن شعبه من شعب الإيمان ألا وهى (الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة).

أما عن الآيات التى تشير الى الحياء: فقد قال تعالى ﴿وَاللهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقِّ﴾ الأحزاب ٣٣: ٥٣. وقال تعالى ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ القصص ٢٨: ٢٥. وقال تعالى ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً﴾ الفرقان ٢٥: ٦٣.

أما عن سنة رسول الله ﷺ؛ فقد أخرج الشيخان عن أبى هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال (الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا اله الا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياءُ شعبة من الإيمان) متفق عليه. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ (الحياء من الإيمان) متفق عليه. وعن عمران بن حصين قال ﷺ (والحياء لا يأتى إلا بخير) متفق عليه. وقال (الحياء خير كله) أو قال (الحياء كله خير) مسلم.

والحياء فى اللغة: تغير وانكسار يلحق الإنسان من خوف ما يعاب به. والحياء فى الشرع كما قال العلماء: حقيقة الحياء خُلق يبعث على ترك القبيح ويمنع من التقصير فى حق ذى الحق.

والحياء وإن كان قد يكون غريزة فهو فى إستعماله على وفق الشرع يحتاج إلى اكتساب وعلم ونية فلذلك كان من الإيمان. ومعنى كونه من الإيمان أن المستحى ينقطع بحيائه عن المعاصى فيصير كالإيمان القاطع بينه وبين المعاصى.

قال أبى القاسم الجنيد ﷺ: الحياء رؤية الآلاء –النعم– ورؤية التقصير فيتولد بينهما حاله تسمى الحياء.

قال القرطبى فى المفهم شرح مسلم: وكان النبى ﷺ قد جمع له النوعان من الحياء المكتسب والغريزى وكان فى الغريزى أشد حياء من العذراء فى خدرها وكان فى المكتسب فى الذروة العليا ﷺ. فعن أبى سعيد الخدرى قال: كان رسول الله ﷺ أشد حياء من العذراء فى خِدرها، فإذا رأى شيئاً يكرهه عرفناه فى وجهه. متفق عليه.

عن أبى مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى البدرى ﷺ قال: قال النبى ﷺ (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى "إذا لم تستح فاصنع ما شئت". البخارى. **قوله (إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى) يشير إلى أن هذا مأثور عن الأنبياء المتقدمين وأن الناس تداولوه بينهم وتوارثوه عنهم قرناً بعد قرن.**

قوله (إذا لم تستحى فاصنع ما شئت) فى معناه قولان:

القول الأول: الذم والنهى أن يصنع ما يشاء.

– أنه أمر بمعنى التهديد والوعيد؛ أى إذا لم يكن لديك حياء فاعمل ما شئت فالله يجازيك عليه ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فصلت ٤١: ٤٠.

– وأنه أمر ومعناه الخبر؛ إن لم يستح صنع ما شاء فإن المانع من فعل القبائح هو الحياء فمن لم يكن له حياء انهمك فى كل فحشاء ومنكر ويمتنع من مثله من له حياء على حد قوله ﷺ (من كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) البخارى – مسلم، **فإن لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر.**

أخرج ابن ماجه ﷺ عن عبد الله بن عمرو قال قال النبى ﷺ (إذا أبغض الله عبداً نزع منه الحياء فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا بغيضاً مبغضاً، فإذا كان بغيضاً مبغضاً نزع منه الأمانة فإذا نزع منه الأمانة نزع منه الرحمة وإذا نزع منه الرحمة نزع منه ريقة الإسلام فإذا نزع منه ريقة الإسلام لم تلقه إلا شيطاناً مريدا).

وقال سيدى سلمان الفارسى "إن الله إذا أراد بعبد هلاكاً نزع منه الحياء فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتاً ممقتاً، فإذا كان مقيتاً ممقتاً نزع منه الأمانة فلم تلقه إلا خائناً مخوناً، فإذا كان خائناً مخوناً نزع منه الرحمة فلم تلقه إلا فظاً غليظاً، فإذا كان فظاً غليظاً نزع منه ربقة الإيمان من عنقه، فإذا نزع منه ربقة الإيمان من عنقه لم تلقه إلا شيطاناً لعيناً ملعناً". متفق عليه. قال سيدى عبد الله بن العباس "الحياء والإيمان فى قرن فإذا نزع الحياء تبعه الآخر".

مر النبى ﷺ على رجل وهو يعاتب أخاه فى الحياء يقول: إنك تستحى. كأنه يقول قد أضربك. فقال ﷺ (دعه فإن الحياء من الإيمان). أخرج الإمام أحمد والنسائى من حديث الأشج المنقرى قال: قال لى رسول الله ﷺ (إن فيك لخصلتين يحبهما الله). قلت: ما هما؟ قال (الحلم والحياء). قلت: أقربها كان أو حديثاً؟ قال (بل قربها). قلت: الحمد لله الذى جعلنى على خليقتين يحبهما الله. صحيح– الإمام أحمد.

أخوة الإيمان والحياء نوعان:

النوع الأول: ما كان خلقاً وجبلة غير مكتسب وهو أجل الأخلاق التى يمنحها الله للعبد ويجبله بها ولهذا قال النبى ﷺ (الحياء لا يأتى إلا بخير) فهو يكف عن ارتكاب القبائح ودناءة الأخلاق. قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من استحيا اختفى ومن اختفى اتقى ومن اتقى وقى.

والنوع الثانى: ما كان مكتسباً من معرفة الله ومعرفة عظمته وقربه من عباده واطلاعه عليهم وعلمه بخائنة الأعين وما تخفى الصدور فهذا من أعلى خصال الإيمان بل هو من أعلى درجات الإحسان (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) وقال النبى ﷺ (استحى من الله كما تستحى من رجل من صالح عشيرتك).

قال الامام فخر الدين رضي الله عنه: إن الحياءَ مخافة من قادر وتأدب فى غير بخس فاسرد.

عن سيدى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (استحيوا من الله حق الحياء) فقالوا: إنا نستحى من الله والحمد لله. قال (ليس ذلك ولكن من استحى من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء).

فإن الحياء الممدوح فى كلام رسول الله ﷺ إنما يريد به الخُلق الذى يحث على فعل الجميل

وترك القبيح فأما الضعف والعجز الذى يوجب التقصير فى شئ من حقوق الله أو حقوق عباده فليس هو من الحياء، فإنما هو ضعف وخور وعجز ومهانة. الحافظ ابن رجب الحنبلى.

والقول الثانى: فى قوله ﷺ (إذا لم تستح فاصنع ما شئت) هو أمر بفعل ما يشاء والمعنى إذا كان الذى يريد فعله مما لا يستحى من فعله لا من الله ولا من الناس لكونه من أفعال الطاعات أو جميل الأخلاق والآداب المستحسنة فاصنع منه حينئذ ما شئت. ابن اسحاق المروزى – الشافعى.

والحلاصة ألا تعمل فى السر شيئاً تستحى منه فى العلانية. كما قال ﷺ (البر حسن الخلق والإثم ما حاك فى صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس) رواه مسلم.

وروى عبد الرازق فى مصنفة قيل: يا رسول الله، ما أفضل ما أوتى الرجل المسلم؟ قال (الخلق الحسن) قال: فما شر ما أوتى الرجل المسلم؟ قال (إذا كرهت أن يُرى عليك شئ فى نادى القوم فلا تفعله إذا خلوت) حسن بشواهد. وأخرج الطبرانى من حديث أبى مالك الأشعرى قال: قلت: يا رسول الله، ما تمام البر؟ قال (أن تعمل فى السر عمل العلانية). والرجل يريد عمل الخير فيدعه حياء من الناس كأنه يخاف الرياء يقول: فلا يمنعك الحياء من المضى لما أردت. قال ﷺ (الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة، والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار).

ومن الحياء أيضا آداب الجلوس فى الطريق. فعن أبى سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إياكم والجُلُوس فى الطرقات) قالوا: يا رسول الله ما لنا بد من مجالسنا نتحدث فيها. قال (فإما إذا أبيتم –أى امتنعتم عن ترك الجلوس على الطرقات– فأعطوا الطريق حقه) قالوا: وما حقه؟ قال: غض البصر وكف الأذى –قول أو فعل– ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) متفق عليه.

وقال الفقيه أبو الليث السمرقندى رضي الله عنه: الحياء على وجهين: حياء فيما بينك وبين الناس، وحياء فيما بينك وبين الله تعالى. أما الحياء الذى بينك وبين الناس فأن تغض بصرك عما لا يحل لك، وأما الحياء الذى بينك وبين الله تعالى فأن تعرف نعمته فتستحى أن تعصيه.

ودخل سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه على سيدنا رسول الله ﷺ فوجده يبكى فقال: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال (أخبرنى جبريل عليه السلام أن الله تعالى يستحى من عبد يشيب فى الإسلام أن يعذبه أفلا يستحى الشيخ من الله أن يذنب بعد ما شاب فى الإسلام).

وقال أحدهم: يا رسول الله عورتنا ما نأتى منها وما نذر. قال (احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك) قال: قلت يا رسول الله أرأيت إن كان أحدنا خالياً؟ قال (فالله أحق أن يستحى منه). قال سيدى سلمان الفارسى "لأن أموت ثم أحيا ثم أموت ثم أحيا –ثلاثاً– أحب إلىَّ من أن أنظر إلى عورة أحد أو ينظر أحد إلى عورتى". ومر النبى ﷺ برجل يغتسل فقال (يا أيها الناس إن الله حيى حليم ستار ويحب الحياء والستر فإذا اغتسل أحدكم فليتوار عن أعين الناس).

وقال بعض السلف لإبنه: إذا دعتك نفسك إلى كبيرة فارم ببصرك إلى السماء واستح ممن فيها فإن لم تفعل فارم ببصرك إلى الأرض واستح ممن فيها، فإن كنت لا ممن فى السماء تخاف ولا ممن فى الأرض تستحى فاعدد نفسك فى عداد البهائم). وقال الفضيل بن عياض: لا تغلق بابك وترخى سترك وتستحى من الناس ولا تستحى من القرآن الذى فى صدرك ولا تستحى من الجليل الذى لا يخفى عليه خافيه.

وقال ﷺ (البر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تدان). وعنه ﷺ أنه قال (التائب من الذنب كمن لا ذنب له) و(التائب حبيب الرحمن)

•••

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ. وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له، الواحد الاحد الموجود، الفرد الصمد المعبود، الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فى الوجود، وأشهد ان سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وشفيعنا وقرة أعيننا وملاذنا، سيدنا محمد عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، الذى توجه ربه بتاج الجمال، والبسه لباس الكمال، وزينه بأشرف الخصال، اللهم صلى وسلم وبارك على سيدنا محمد، الذى تنحل به العقد، وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج، وتنال به الرغائب، وحسن الخواتم، ويستسقى الغمام بوجهه الكريم، وعلى آله واصحابه وأزواجه أمهات المؤمنين، ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين.

أما بعد .. فيا أحباب رسول الله ﷺ

فمن أمثلة رجال الحياء بعد رسول الله ﷺ سيدنا عثمان ابن عفان ذو النورين، الذى قال عنه ﷺ (ألا استحى من رجل تستحى منه الملائكة).

قالت السيدة عائشة مكثنا أربعة أيام ما طعمنا شيئا فقال ﷺ (يا عائشة هل أصبتم شيئا بعدى؟)

قلت: لا. فتوضأ وخرج يصلى هاهنا مرة وهاهنا مرة يدعو. فجاء عثمان آخر النهار فأخبرته الخبر فبكى، ثم قال: أين رسول الله ﷺ. فأخبرته بما قال لى وما فعل. فخرج عثمان وبعث لنا دقيقاً وتمراً وغيره، ثم قال: هذا يبطئ عليكم فأرسل خبزاً ولحماً مشوياً. ثم جاء النبى ﷺ فقال (هل أصبتم شيئاً؟) فأخبرته بما فعل عثمان، فلم يجلس حتى خرج إلى المسجد ورفع يده وقال (اللهم إنى رضيت عن عثمان فارضى عنه).

وقال أبو سعيد الخدرى رضي الله عنه رأيت النبى ﷺ من أول الليل إلى أن طلع الفجر يدعو لعثمان. وقال ﷺ (عثمان أحى أمتى وأكرمها). وقال ﷺ (أشد أمتى حياء عثمان). وقال سيدنا عثمان بن عفان: ما لمست فرجى بيمينى لأنى لمست بها يد رسول الله ﷺ.

قال الإمام فخر الدين رضي الله عنه:

أما بذى النورين عثمان يرى أثر الحياء كما يرى فى الغاضب

فاللهم اجعلنا من أهل الحياء، اللهم لا تجعل فينا شقيا ولا محروما ولا متعسرا أبدا يارب العالمين، اللهم تب علينا لنتوب واغفر لنا الذنوب واسترنا يارب العالمين، اللهم لا تجعل فى جمعنا هذا ذنبا إلا غفرته ولا عيبا إلا سترته ولا مريضا إلا شفيته ولا دينا إلا قضيته ولا حاجة من حوائج الدنيا والآخرة لنا فيها صلاح ولك فيها رضا إلا قضيتها ويسرتها لنا بكرمك وجودك يا اكرم الاكرمين، اللهم جنب بلدنا الوباء والغلاء والفتن ما ظهر منها وما بطن، واجعله بلدا امنا سخاءً ورخاءً وسائر بلاد المسلمين يارب العالمين، اللهم وفق ولاة امورنا لما تحبه وترضاه امين.

عباد الله ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ اذكروا الله العظيم يذكركم واستغفروه يغفر لكم وصلوا على حبيبكم يشفع لكم وأقم الصلاة.